الإيجاز البلاغي في الخطاب القصصي

قصة يوسف –عليه السلام– أنموذجاً

قدري محمد القنوني
كلية الآداب الزاوية، جامعة الزاوية

المقدِّمة:

يعد الخطاب القرآني رسالة سماوية تبليغية موجَّهة إلى البشر كافة، دون تحديد أمة معيَّنة؛ وذلك للتبليغ بتشريع الأحكام، وبيان المقاصد، وتسطير طرق المعاملات، وكل ما من شأنِّه الإيفاء بمتطلَّبات الحياة اليومية بكل زمان ومكان، وفي مقدِّمة تلك المتطلَّبات ضبط علاقة الإنسان مع خالقه ومع نفسه، ومع غيره من المخلوقات.

تأتي دراسة: **(الإيجاز في الخطاب القصصي في قصة يوسف–عليه السلام– أنموذجاً)** باعتبار أنَّ الإيجاز من أبرز خصائص اللغة العربية، وأهم مميزاتها، حتى أنَّ العرب كانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، وهو ما يتحقَّق بكل تجلِّي ووضوح في طيات الخطاب القصصي، الذي تمثِّل بلاغته معلماً من معالم الإعجاز في القرآن الكريم، كما يمثِّل الإيجاز بنوعيه: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف فنًا من فنون القول في البلاغة العربية، التي تتجسَّد في بناء الخطاب القرآني بأعلى مستوياتها التطبيقية.

ومن جهة أخرى فهذا الملمح البلاغي يعمل على إكساب النص القرآني قوة تأثيرية تجعله يعلق بذهن المتلقِّي، وتعينه على اكتشاف خفايا النص، وسبر أغواره، ومعرفة معانيه، وتحقيق غاياته ومقاصده.

Abstract

Rhetorical Brevity in Narrative Discourse

The story of Joseph – peace be upon him – as a model

Introduction:

The Qur'anic discourse is a heavenly, eloquent message addressed to all human beings, without specifying a specific nation. It was descended to inform the legislation of rulings, clarify the purposes, and underline the methods of transactions, and everything that would fulfill the requirements of daily life in every time and place, and in the forefront of those requirements is controlling the relationship of man with his Creator and with himself, and with other creatures.

The study of brevity in narrative discourse in the story of Joseph – peace be upon him – comes as brevity is one of the most prominent characteristics of the Arabic language, and its most important features, so much so that the Arabs considered brevity to be rhetoric, that is achieved with all clarity in the folds of the narrative discourse, whose eloquence is a landmark of The miraculousness of the Holy Qur'an. There are two types of brevity: brevity of shortness and brevity of omission. These two represent an art of speech in Arabic rhetoric, which is embodied in the construction of the Qur'anic discourse at its highest applied levels.

On the other hand, this rhetorical feature works to give the Qur'anic text an effective force that makes it attached to the mind of the recipient, and helps them to discover the secrets of the text, explore its depths, learn its meanings, and achieve its goals and objectives.

الكلمات المفتاحية: الإيجاز، البلاغة، الخطاب، القصصي.

إشكالية البحث:

تتمثَّل إشكالية هذا البحث في الإجابة عن السؤال الآتي:

ما أبرز وجوه الإيجاز في الخطاب القصصي في سورة يوسف؟ وما حقَّقته من أبعاد بلاغية؟

كما يتفرَّع عن هذا السؤال جملة من الأسئلة منها:

ما أنواع الإيجاز الواردة في سورة يوسف؟ وما أبرز مواضعها؟

ما ملامح الإيجاز في سورة يوسف؟

ما الأغراض البلاغية التي يحقِّقها الإيجاز في الخطاب القصصي في سورة يوسف؟

أهمية البحث:

تتجسَّد أهمية البحث في مدى حاجة المسلم المستمرة إلى مدارسة كتاب الله تعالى، والتعمُّق في فهم بناء أساليب آياته القرآنية، واستخلاص أبرز مميِّزاتها البلاغية.

أهداف البحث:

تكمن تلك الأهداف في معرفة أبرز الملامح البلاغية التي يكتسي بها الخطاب القرآني في سورة يوسف، والدور الذي تقوم به تلك الملامح، والغايات والمقاصد السامية التي جاء من أجلها هذا الخطاب القرآني.

حدود البحث:

يتمثَّل الحد الموضوعي لهذه البحث في تقصِّي مواضع الإيجاز في آيات سورة يوسف –عليه السلام– هذه السورة التي بلغ فيها القصص القرآني أسمى وأرقى صفاته الفنية، والتي ينال فيها الإيجاز البلاغي مكانته في أغلب آياتها القرآنية.

منهج البحث:

تم تطبيق المنهج الوصفي التحليلي، وهو الأنسب والأقرب لطبيعة هذا البحث، والأكثر ضمانًا لتحقيق أفضل النتائج.

البناء القصصي في القرآن الكريم:

يأتي البناء القصصي في القرآن الكريم وفق مقامات وغايات الخطاب القرآني المتنوَّعة، كما يقصد الكشف والتنقيب عن جملة من الأحداث والآثار وإعادة عرضها أمام المسلمين؛ لاستخلاص جملة من العبر والمواعظ التي ستعود عليهم بالفلاح والصلاح في الحياة الدنيا والآخرة.

فالمتلقِّي أمام النص القرآني ليس مجرَّد متلقٍ وحسب، وإنَّما يمثِّل حصيلة ثقافية واجتماعية ونفسية من شأنها أنْ تفسِّر وتستخلص وتستوعب أبعاد وتجلِّيات وغايات النص الذي يتمحور مفهومه حول تتبُّع أمر ما، وبيانه والإخبار به.

فالقصص القرآني "وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معيَّن من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أنْ تكون لها بداية ونهاية"[1].

و يأتي عرض القصص القرآني وفق صور متعدِّدة، فمنها ما يأتي في إطار القصة المغلقة أو (المكتملة)، وهي ما يأتي عرضها في موطن واحد في القرآن الكريم، دون أنْ يتكرَّر سياقها السردي في موطن أخرى منه.

ومن أمثلة هذا النوع من القصص (قصة يوسف) في سورة يوسف، و(قصة لقمان) في سورة لقمان، و(قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين) في سورة الكهف.

ومن القصص القرآني ما يرد سياقه السردي في أكثر من موطن قرآني، وبتنويعات إخبارية تتجدَّد كثيرًا أو قليلًا من سياق لآخر، وهذا القصص ما يمكن تسميته بـ (القصة المفتوحة)، كما في (قصة سليمان) التي ورد ذكرها في أكثر من سورة، إذ وردت في سورة البقرة، وسورة الأنبياء، وسورة النمل، وسورة ص. و(قصة موسى) التي ورد ذكرها في سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة المائدة. و(قصة نوح) التي ورد ذكرها في مجموعة من السور منها: سورة النساء، وسورة الأعراف، وسورة التوبة يونس... وغيرها.

وأنَّ تلك القصص القرآنية مع تنوِّعها نراها تتعلَّق في مجملها بقصص الرسل أو الأنبياء، مثل: قصة يونس، وقصة هود، وقصة إبراهيم، وقصة لوط، أو تتعلَّق بالحكماء: مثل قصة لقمان، أو قصص بعض الأقوام، مثل قوم عاد، وقوم تُبَّع، وأصحاب الكهف، وأصحاب القرية، أو تتعلَّق بقصص بعض النساء مثل قصة: مريم، وقصة هاجر، وقصة

سارة، وقصة امرأة نوح، وامرأة لوط، أو تتعلَّق بقصص بعض الظلمة مثل: قصة فرعون، وقصة قارون، وقصة أبي لهب، أو بقصص بعض الحيوانات مثل: قصة بقرة بني إسرائيل، وقصة ناقة صالح، وقصة نملة سليمان، وقصة حوت يونس. أو قصص بعض الحوادث الغابرة الّتي وقعت في زمن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– كأحداث: غزوة بدر، وأحداث غزوة أحد.

وفي كل ذلك يأتي القصص القرآني مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]

ويعد مجمل ما وقع سرده في القرآن الكريم من القصص والأخبار حقائق واردة، وليس نسج خيال، أو لمجرَّد التسلية، أو العرض التاريخي، وإنَّما للعظة والتدبُّر والاعتبار.

التَّعريف بقصة يوسف:

تأتي قصه يوسف– عليه السلام– في سورة يوسف، وهي السورة الثانية عشرة في ترتيب سور المصحف الشريف، نزلت بعد سورة (هود)، وقبل سورة (الرعد)، وهي من السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، ويبلغ عدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية، وعدد كلماتها ألف وستمائة كلمة، وعدد حروفها سبعة الآف ومائة وستة وستون حرفاً. فيها وردت قصة يوسف كاملة، القصة التي نعتها الله تعالى بقوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾[3]، وأنَّ تسميتها بسورة يوسف فهي تسمية متطابقة تتضمَّن قصة يوسف على امتداد السورة، وهو ما جعلها عنوانًا أو عتبة للقصة، وهو ما لم يتحقَّق ببقية السور التي تحمل أسماء بعض الرسل أو الأنبياء مثل سورة محمد، أو إبراهيم... وغيرها.

بلغ ذكر اسم يوسف في آيات هذه السورة أربع وعشرين مرة[4]، منها على سبيل المثال: ما جاء في الآية الكريمة ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[5]، وفي الآية الكريمة﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[6]، وفي الآية الكريمة﴿**فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ**

خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[7].

كما ورد ذكر اسم يوسف في موضعين آخرين في القرآن الكريم[8].

يتصدَّر حدث الرؤيا قصة يوسف، ثم تتوالى الأحداث من بعد، والتي منها: حدث رمي يوسف في غيابة الجب، وحدث التقاط بعض السيارة يوسف، وحدث بيع يوسف في مصر، وحدث المراودة، وحدث سجن يوسف، وحدث النسيان، وحدث التمكين، وحدث خروج يوسف من السجن، وحدث ائتمان يوسف على خزائن مصر، وحدث الاقتصاد والمالية، وحدث أسر شقيق يوسف، وحدث تحقق الرؤيا، أحداث متنوعة يأخذ بعضها برقاب بعض.

إنَّها قصة قرآنية تزخر بالعديد من الدلالات والعبر والعضات التي أحوج ما يكون إليها كل مسلم ومسلمة في حياته؛ لما فيها من العجائب وتقلُّب الأمور والأحوال ما بين الضيق والفرج، والغنى والفقر، والسجن والحرية، والحب والكراهية، والحيل والمؤامرات، وتهذيب النفس، والتفسير والتأويل.

يمثِّل بناء قصة يوسف –عليه السلام– أرقى صور البناء الفني في القصص القرآني، فهي قصة تستمد مادتها من الصراعات والوقائع والأحداث، والمواقف والحقائق التاريخية المعاشة، التي تتصل بأهم الدوافع لدى الإنسان، وفي مقدمتها دافع الحسد والغيرة، والسيطرة، والجنس، مع بيان كيفية التعامل معها وفق التوجُّه الإسلامي الرشيد.

وإذا كان عدد شخصيات القصة يصل إلى (18) شخصية؛ فقد كانت شخصية يوسف هي الشخصية الرئيسة، إذ يمثِّل حضورها في القصة نسبة 100% من الأحداث التي تم استعراضها في (98) آية بسورة يوسف.

وحضور شخصية يعقوب –عليه السلام– نسبة 35.71 %، وشخصية شقيق يوسف بنيامين23.47 %، وامرأة العزيز18.36 %، في حين تشكَّل الشخصية الجماعية (إخوة يوسف) حضورًا بنسبة 16،58%، ثم تتوالى نسب حضور الشخصيات الثانوية الأخرى[9].

وتعد شخصية يوسف في هذه القصة الشخصية الرئيسية (شخصية البطل)، بينما تعد شخصية إخوته الجماعية (الشخصية الثانوية).

وقد اعتمدت هذه القصة على البعد المادي في رسم الشخصية، إذ يمثِّل جمال يوسف –عليه السلام– المحرِّك الفاعل في تصاعد أحداث القصة، وتنوِّع مشاهدها، والسير بها نحو التأزم، إلى جانب طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربط بين يوسف –عليه السلام– وإخوته من أبيه، إذ كان لدافع الغيرة والحسد الأثر الواضح في تفجير أحداث القصة وتطورها، ورسم ملامحها المستقبلية بدءًا من الأحداث الدرامية التي شهدتها القصة منذ لحظاتها الأولى، كل ذلك يأتي بلغة يغلب عليها الطابع الحواري في شكله الدرامي، تتصاعد فيها الأحداث وتنتقل من موقف إلى آخر، ومن مشهد إلى آخر بكل هدوء وسلاسة وتشويق.

ومن جهة البناء الفني فقد اعتمدت قصة يوسف على انتقاء الأحداث بحذف ما ليس له علاقة، وإيجاز ما يلزم إيجازه، وذلك باحتوائها على الإيجاز بنوعيه إيجاز القصر، وإيجاز الحذف، وهو ما أراد هذا البحث دراسته واستجلاء جمالياته.

تعريف الإيجاز:

1– لغة: الإيجاز من الجذر اللغوي (وجز)، ومعناه: "وَجُزَ الكلامُ وَجازَةً ووَجْزاً وأَوْجَزَ: قَلَّ في بلاغة وأَوْجَزَه اختصره ... وأَوْجَزْتُ الكلام قَصَرْتُه، وتَوَجَّزْتُ الشيء مثل تَنَجَّزْتُه، ورجل مِيْجاز يُوجِزُ في الكلام والجواب، وأَوْجَزَ القولَ والعطاء قلَّله وهو الوَجْزُ"[10]. كما يفيد "تَحْرِيرُ المَعْنَى من غَيْر رِعَايَة للَفْظِ الأَصْل بلَفْظ يَسِير"[11].

فالإيجاز بمعناه اللغوي: يعني التقليل والاختصار.

2– اصطلاحًا:

وردت العديد من تعريفات الإيجاز لدى الكثير من علماء البلاغة قديمًا وحديثا، منها ما ورد في قول الجاحظ: "والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومارٍ فقد أوجز"[12].

كما أورد الجاحظ ما قاله صحار العبدي في الإيجاز إجابة عن سؤال معاوية الذي يقول فيه: "ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صُحار: أنْ تُجيب فلا تبطئ، وتقولَ فلا تخطئ"[13].

وفي قول عبد القاهر الجرجاني: "لا معنى للإيجاز إلا أنْ يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى. وإذا لم تجعله وصفاً للفظ من أجل معناه أبطلت معناه، أعني أبطلت معنى الإيجاز"[14].

وفي قول الرُّماني: "الإيجاز تقابل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أنْ يعبَّر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أنْ يعبَّر بألفاظ قليلة، فالألفاظ القلية إيجاز"[15].

وجاء في قول العسكري: "قال أصحاب الإيجاز: الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر و الخطل"[16].

وفي نقله لما قيل لبعضهم: "ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد"[17].

ويسمِّي ابن سنان الإيجاز بـ (الإشارة) قائلاً: "هو أنْ يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنَّه لفظ موجز يدل على وجه الإشارة واللمحة"[18].

وفيه يقول ابن الأثير: "أمَّا الإيجاز فقد عرَّفتك أنَّه دلالة اللفظ على المعنى، من غير أنْ يزيد عليه"[19].

ويعرِّفه الشريف الجرجاني بقوله: "الإيجاز أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة"[20].

ومن مجمل هذه التعريفات وغيرها يتضح أنَّ "كلها لا تخرج عن القول بأنَّ الإيجاز هو التعبير عن المعنى بألفاظ تدل عليه دلالة واضحة"[21].

وبشأن أقسام الإيجاز فأغلبها ينتهي إلى ما ورد عند الرماني بأنَّ الإيجاز ينقسم إلى قسمين هما: إيجاز الحذف، وإيجاز القصر[22].

وفي بلاغة إيجاز الحف يقول ابن الأثير "فإنّه عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ وذاك أنّك ترى فيه ترك الذِكر أفصح من الذِكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون مبيّناً إذا لم تبيّن، وهذه جملة تُتكرها حتى تَخبُر، وتدفعُها حتى تَنظُر"[23].

وفي إيجاز القصر يقول: "هو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظه، بألفاظ أخرى مثلها، وفي عدتها، وهي أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنَّما يوجد شاذاً نادراً"[24].

الإيجاز في سورة يوسف.

يتجلَّى الإيجاز في الخطاب القصصي في سورة يوسف –عليه السلام– في إيجاز القصر، وإيجاز الحذف، وهما ضربان يكاد أحدهما ألَّا ينفصل عن الآخر.

ولاستجلاء دور الإيجاز في صياغة الخطاب القصصي صياغة بلاغية فنية، سيقف هذه البحث عند عدد من الآيات القرآنية بسورة يوسف، ولتسهيل ذلك تم اتباع التوزيع الآتي:

أولاً: إيجاز القصر.

يعد إيجاز القصر أحد أساليب التعبير التي تتميَّز بها اللغة العربية، وتتفرَّد بين سائر لغات العالم، وبهذا الإيجاز يتم التعبير عن الكلام الكثير بألفاظ قليلة يأتي معها الكلام متكامل المعنى، منتظم الألفاظ دون خلل ولا إرباك.

ويعد هذا الأسلوب البلاغي في الخطاب القصصي، الذي تحفل به الكثير من الآيات القرآنية بعامة، وما ورد منه في ثنايا آيات سورة يوسف –عليه السلام– بخاصة خير دليل على ذلك، إذ نراه يأتي مؤكدًا بلاغة القرآن الكريم، وآياته المعجزة. وممثلاً وجهًا من وجوه إعجازه.

يبين الرُّماني حقّيقة إيجاز القصر وضابطه بقوله: "القصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"[25].

ومن شواهد إيجاز القصر في سورة يوسف، ما ورد في الآية الكريمة: ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[26]، وفيها يحذِّر يعقوب ابنه يوسف –عليه السلام– ويعلمه أنَّ إخوته العشرة يغارون منه؛ لفرط فضله عليهم خَلقاً وخُلقًا، وأنَّه عندما يقصُّ عليهم هذه الرؤيا ستشتد غيرتهم إلى حدّ الحسد؛ فيكيدوا ليوسف كيدًا؛ ليسلموا من تفوقّه عليهم وفضله فيهم، وأنَّ هذه العداوة ليست صادرةً عن طبع فيهم أو سجيَّة، بل هي من عداوة الشيطان للإنسان.

وعند تأمُّل تحذير سيدنا يعقوب ابنه يوسف من أخوته وذكر عداوة الشيطان للإنسان فهو إيجاز يغني عن طول الشرح، وكثرة التفصيل بذكر الأسباب وراء قيام أخوة يوسف بالكيد له. وهو ما جاء تأكيده على لسان إخوة يوسف بقولهم: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[27]. لذا جاء هذا التحذير بألًا يقص يوسف – عليه السلام– الرؤيا على أخوته؛ حتى لا يكيدون له كيدًا، وذلك من باب التعظيم والتهويل من شر ما سيلحق به من أضرار، عند عدم استجابته لهذا التحذير.

والإيجاز في الآية الكريمة ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[28].

جاء في هذا الخطاب القصصي بيان إلهي يحمل إشارة إلى طبيعة العلاقة بين الأب وأبنائه فيما يتعلَّق بشأن أخيهم يوسف، وأنَّها علاقة مبنية على فقد الثقة وعدم الاطمئنان. وهو ما يتضح في قول أخوة يوسف لأبيهم: (مالك لا تأمنّا) وهذا القول الموجز دليل على محاولة إخوة يوسف أكثر من مرَّة الانفراد بأخيهم، بينما كان أبوهم يقف حائلاً بينهم وبين ذلك؛ شعوراً لديه بأنَّ (يوسف) لن يكون في مأمن ما داموا منفردين به، وقد أكَّد غياب الثقة عن نفس أبيهم تجاههم قول أخوة يوسف أنفسهم حين عودتهم دون أخيهم: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)، فهذه المعاني الكثيرة جاءت مختزلة في ألفاظ قليلة، يمكن أنْ يدركها المتلقِّي عند تأمل ألفاظ النص القرآني، والتَّعمق في معانيها بكل يسر وسهولة.

وفي الآية الكريمة﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[29].

تتوالى فصول مؤامرة أخوة يوسف وسعيهم إلى قتله، عبر تراسل جملة من الأحداث المصطنعة، بدءًا من الاستباق، وترك يوسف بمفرده، وأكل الذئب يوسف، كل ذلك جاء في ألفاظ غاية في الإيجاز والاختصار، وهو ما يميز بلاغة القرآن الكريم.

وفي الآية الكريمة ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[30] إنَّها حكاية عن سيدنا يعقوب: (سوّلت

لكم أنفسكم) أي زيَّنت لكم، فإنَّكم مكرتم به ابتغاء منفعة تظنونها، واهمين أنَّكم ستحققونها بفعلكم هذا، ولكن خدعتكم أنفسكم وصوَّرت لكم الأمور على غير ما ستنتهي إليه.

وهذا ما كان حقيقة، فما فعلوه كان بقصد تغييب يوسف؛ ليخلو لهم وجه أبيهم، ولينفردوا بمحبته، غير أنَّ الأمر سار على غير ما أرادوا، إذ ظلّ أمر يوسف يشغل بال أبيه طوال مدَّة غيابه؛ حتَّى ضجر منه الذين من حوله.

وفي الآية الكريمة﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[31].

تصف الآية الكريمة مشهد إخراج يوسف من البئر بخطاب قصصي غاية في الإيجاز، إذ تحقَّق إخراجه من البئر على يد بعض (السيَّارة) أي المسافرين من التجَّار، وهم في طريقهم إلى مصر، جاء ذلك في مشهد تسارعت فيه الأحداث وتوالت، وهو ما عبَّرت عنه هذه الأفعال: (وَجَاءَتْ، فَأَرْسَلُوا، فَأَدْلَى، قَالَ يَا بُشْرَى، وَأَسَرُّوهُ) وبشكل موجز مختصر بعيدًا عن السرد الطويل، والشرح المفصّل. تتالت فيه الأفعال تتالياً سريعاً، مع استعمال فاء العاطفة التي تفيد ترتيب حدوث الأفعال وتعاقبها دون فارق زمني يذكر، مفاده أنَّ المسافرين عند اقترابهم من البئر أسرعوا في إرسال من يجلب لهم الماء فأرسلوا واردهم، فأسرع ملبّياً حاجتهم، فأدلى دلوه وقَالَ: "يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ" مع اختفاء (الفاء) عند تحقق المفاجئة، التي أفصح عنها بالإعلان عن وجود غلام بالبئر.

كما اختزل التعبير بلفظ "**وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً**" كثيراً من المعاني والدلالات، التي منها أنَّ السيَّارة تجّار، وربما كانوا تجار رقيق، فاستبشروا بعثورهم على الغلام كونه بضاعة لها أهميتها وقيمتها المالية الكبيرة. وإنْ تعارض هذا مع مشهد بيع يوسف بدراهم معدودات كما أخبرت بذلك الآية الكريمة فيما بعد﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾[32]. أي تم بيع هذا الغلام بثمن بخس قد لا يسمح المقام بتفصيل القول في هذا الأمر.

وفي الآية الكريمة ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[33].

يعد حدث مراودة امرأة العزيز فتاها يوسف، الذي رصده الخطاب القصصي في القرآن الكريم في عشر آيات[34] جاءت كاملة في سورة يوسف، وما صاحب هذا الحدث من مواقف واتهامات وصراعات، وما انتهى إليه من نتائج، إنَّه من أبرز ملامح قصة سيدنا يوسف– عليه السلام– كل ذلك جاء بعبارات غاية في التعبير، وقمة في الإيجاز. وقد صوَّرته الآيات القرآنية تصويراً حيّاً موجزاً بألفاظ موجزة.

وكما أوجزته امرأة العزيز للنسوة في تعبيرها عن موقفها، وموقف يوسف المناقض لها بالرفض، والمصحوب بالإنكار، والمعبَّر عنه بكلمة (استعصم) التي تدّل على إرادة امرأة العزيز شيئًا تقصده في نفسها وإرادة تحقيقه، ومقابلة يوسف ذلك الشيء بالرفض والإنكار، والتهرُّب من إرادة تحقيقه.

وفي الآية الكريمة ﴿**فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[35].

يتضح جليّاً في طيات الخطاب القرآني بهذه الآية إيجاز بعض الكلام، أي لمَّا كلَّم الملك يوسف أعجب بحسن منطقه، ورجاحة عقله، واتزانه، ممَّا زاد إعجابه بيوسف، فارتقى بعلاقته الخاصة وجعله مقرَّباً إليه، الأمر الذي جعل يوسف يشعر بعلوّ منزلته عند الملك، ويتيقَّن من ثقته به، ومحبته إياه، حتى صار يخاطبه بما جاء في الآية الكريمة (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). وانَّ قوله: (إنّي حفيظ)، جاء رداً على قول الملك (مكين أمين) أي إنَّني أهل للثقة، حافظ للأمانة. الأمر الذي جعل يوسف يتمتع بمكانة مرموقة ورتبةٍ عاليةٍ في دولة الملك.

وفي الآية الكريمة﴿**وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[36] يتمثَّل الإيجاز في هذه الآية في جملة (آوى إليه أخاه) فهو إيجاز لفظي، غنىً بالمعاني، مليء بالدلالات. فعند النظر في لفظ (آوى) في معاجم اللغة[37] سنجد أنَّها تأتي بجملة من المعاني منها: أعاد، وضمّ، وأحاط، وأنزل عنده، وأشفق، ورحم، ورقّ. وتآوت الطير: تجمَّعت بعضها إلى بعض. وتآوى الجرح: أي تقارب للبرء[38]،

إنَّها بلاغة قرآنية تتجسَّد في التعبير بهذه الكلمة، وما تحمله من المعاني التي تصوّر حال يوسف –عليه السلام– عند لقاء أخيه بعد فراق طويل!

وفي الآية الكريمة: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[39]

يصف الخطاب القصصي حال أخوة يوسف وطلبهم إلى –يوسف عليه السلام– أنْ يأخذ أحدهم مكان أخيهم (بنيامين) فرفض ذلك، فاستولى اليأس على أخوته وانعزلوا عنه، وانفردوا بأنفسهم يناجي بعضهم بعضاً في كيفية مواجهة أبيهم و(بنيامين) ليس معهم.

وفي هذه الآية يلحظ كيف جاء تصوير تلك الأحداث، وما تخلَّلها من حوارات متبادلة بين يوسف وأخوته في هذا الشأن، كل ذلك جاء التعبير عنه بشكل موجز وبليغ.

ثانياً: إيجاز الحذف.

هو ما يقع بحذف شيء من العبارة شريطة ألَّا يخلّ بفهمها، ويقع هذا الضرب من الإيجاز في صور متعدِّدة، فمنه ما يقع في الخطاب القرآني بحذف حرف، أو حذف كلمة، أو حذف جملة أو أكثر من جملة؛ للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام، مع وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف[40].

ومن صور إيجاز الحذف التي جاءت في سورة يوسف –عليه السلام– يسوق البحث جملة من تلك الشواهد، وهي:

1– **حذف بعض الحروف:** قد تحذف بعض الحروف في الخطاب القرآني، وأنَّ هذا الحذف يزيد النص القرآني بلاغة في الصيغة، وجمالية في التعبير، وإيجازاً في الألفاظ، من تلك الحروف التي وقع حذفها: ياء النداء، ياء المتكلم، حرف النفي، ومن الآيات القرآنية التي تحقَّق فيها هذا الحذف ما يأتي:

أ: حذف يا النداء.

الحذف الوارد في الآية الكريمة ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[41]، تتحدَّث الآية عن يوسف – عليه السلام– وهو

يقصص رؤياه على أبيه، هذه الرؤيا التي جاءت فاتحةً لسورة يوسف –عليه السلام– وتمثّل المحور الرئيس في بنائها القصصي، وفيها تم حذف حرف (الياء) بقول يوسف: (يَا أَبتِ) والاكتفاء بحرف التاء في (أَبَتِ)، وفي هذا يقول ابن عاشور: "تاء خاصّة بكلمة الأب وكلمة الأم في النداء خاصة على نية الإضافة إلى المتكلِّم، فمفادها مفاد: يا أبي، ولا يكاد العرب يقولون: يا أبي... وقد تحيّر أيمّة اللغة في تعليل وصلها بآخر الكلمة في النداء واختاروا أنَّ أصلها تاء تأنيث بقرينة أنَّهم قد يجعلونها هاء في الوقف، وأنَّها جعلت عوضاً عن ياء المتكلم لِعلة غير وجيهة"[42].

وفي الآية الكريمة﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[43].

في هذه الآية الكريمة تكرَّر حذف (ياء النداء) مرتين، الحذف الأول في ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي**﴾ على تقدير "أي يا رب قد آتيتني من الملك"[44]، والحذف الثاني ما جاء في تقدير أبي السعود لنصب لفظ (فَاطِرَ) بقوله: "نُصب على أنَّه صفةٌ للمنادى، أو منادى آخرُ وصفه تعالى به بعد وصفِه بالربوبية"[45]، وقد أفاد هذا الحذف دلالة التعظيم والتنزيه، وتحقيق حسن التوسَّل وبراعة المطلب.

ب: حذف ياء المتكلم. من الشواهد القرآنية التي وقع فيها حذف ياء المتكلم ما ورد في الآية الكريمة ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[46] في لفظ (بُنَيّ) تم حذف ياء المتكلم، وقد بيَّن ابن عاشور سبب ذلك قائلًا: "بكسر الياء المشدّدة تصغير ابن مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بُنَيْوِي أو بُنَيْيِي على الخلاف في أنّ لام ابن الملتزمَ عدمُ ظهورها هي واو أم ياء. وعلى كلا التقديرين فإنّها أدغمت فيها ياء التصغير بعد قلب الواو ياء لتقارب الياء والواو، أو لتمَاثلهما فصار (بنَيّي). وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوماً وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير دلالة على الياء المحذوفة. وحذفُ ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأنّ التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل"[47].

ج: حذف حرف النفي. من أنواع إيجاز الحذف ما يقع بحذف حرف النفي، وهو ما ورد في الآية الكريمة ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾[48] وذلك بحذف حرف النفي في لفظ (**تَفْتَأُ**)، وتقديره (لا تفتأ) وذلك لأمن اللبس وتقديره ببيان ما قاله أبناء يعقوب له، وقد رأوه على هذه الصورة من الهم والحزن.

2- حذف الكلمة. تتنوَّع صورة الكلمة التي يقع حذفها في الخطاب القصصي في سورة يوسف، فمنها ما يقع بحف الفاعل أو المفعول، أو المبتدأ أو الخبر، أو المضاف والمضاف إليه، أو الجار والمجرور، أو جواب لو، أو لولا، أو الشرط. ومن الشواهد القرآنية الدالة على صور هذا الحذف المختلفة ما يأتي:

أ- حذف الفاعل أو المفعول. من الشواهد القرآنية التي وقع فيها الإيجاز بحذف الفاعل، ما ورد في الآية الكريمة ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾[49]، تذكر الآية الكريمة بعضًا من بوادر براءة يوسف ممَّا نسبته إليه امرأة العزيز زورًا وبهتانًا، فقد جاء في شهادة زوجها عندما رأى قميص يوسف قد قُدَّ من دُبُرٍ، بأنَّه "تكذيب لها وتصديق له عليه السلام على ألطف وجه، أي كأنَّه قيل: أنت التي راودتيه فلم يفعل وفرّ فاجتذبتيه فشققت قميصه فهو الصادق في إسناد المراودة إليك، وأنت الكاذبة في نسبة السوء إليه"[50]. وقد ورد حذف الفاعل في جملة: (**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ**)، وتقديره (فلمَّا رأى زوجها قميصه...) لتحقُّق صدق يوسف وكذب امرأة العزيز فيما قدَّمته ورمت به يوسف، وظهر للقوم براءة يوسف من هذا المنكر. وبعبارة موجزة تحذِّر الآية من فطنة النساء وكيدهن العظيم، ومقدرتهن واحتيالهن في التخلُّص من ورطتهن.

ومن أمثلة حذف الفاعل كذلك ما ورد الآية الكريمة: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾[51] تتحدث الآية الكريمة عن تفسير يوسف رؤيا صاحبيه اللذين رافقاه في السجن، وإجابة يوسف عن ذلك بقوله: "للساقي: إنك تُردّ على عملك الذي كنت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأمّا أنت فتُدعَى إلى ثلاثة أيام فتُصْلبُ فتأكل الطيرُ من رأسِكَ"[52].

يتجلَّى إيجاز الحذف في هذه الآية في حذف الفاعل وإقامة المفعول مقامه، مع بناء الفعل للمجهول، في قوله: ﴿**قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ وقد جاء هذا الحذف لإفادة التعظيم.

كما يأتي الحذف في الفاعل يأتي كذلك في المفعول، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ورد في الآية الكريمة﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[53]. توضِّح هذه الآية الكريمة تقبُّل الله تعالى دعاء يوسف، والاستجابة له، ودفع كيد النسوة عنه، فاستجاب له ربه (أي دعاءه) ليدل على العناية الإلهية التي ترعى يوسف، وتحرسه وتربيه تربية حسنة تليق بالأنبياء.

وفي قوله تعالى ﴿**مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾[54]، يتضح في الخطاب الوارد على لسان يوسف وهو في السجن أنَّ ما يعبد من دون الله من أصنام، ليس من الإلهية في شيء، بل هي مجرَّد أسماء أسموها بها بعض الناس من تلقاء أنفسهم.

وفي بيان حذف المفعول في هذه الآية﴿ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ ﴾ يقول القرطبي: "فحذف المفعول الثاني للدلالة؛ والمعنى: سميتموها آلهةً من عند أنفسكم.{مَّآ أَنزَلَ الله} ذلك في كتاب ومفعول سميتموها الثاني محذوف أي : سميتموها آلهة من عند أنفسكم"[55].

ب: حذف المبتدأ أو الخبر. من الشواهد القرآنية الدالة على حذف المبتدأ أو الخبر ما ورد في الآية الكريمة ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[56]

من ملامح المكيدة التي دبَّرها أخوة يوسف، قولهم لأبيهم: أنَّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف وحده فأكله الذئب، وأنَّ الدم الذي جاؤوا به على قميصه ليس دم يوسف بل دم كذب وافتراء، وقد أعلمهم أبوهم بحقيقة الأمر، مستعينًا بالله تعالى في مكابدة هذه الأمر، وبشأن الحذف الواقع في جملة (**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**) يقول الألوسي: "أي فأمري صبر جميل، أو فصبري صبر جميل... وصبر في كل ذلك خبر مبتدأ محذوف. أو فصبر جميل أمثل وأجمل على

أنَّه مبتدأ خبره محذوف... وكذا اختلفوا فيما إذا صح في كلام واحد اعتبار حذف المبتدأ وإبقاء الخبر، واعتبار العكس هل الاعتبار الأول أولى أم الثاني"[57].

ج: حذف الجار أو المجرور: من الشواهد القرآنية التي تدل على حذف الجار أو المجرور في الخطاب القصصي في سورة يوسف، ما جاء في الآية الكريمة﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[58]، دعوة من أخوة يوسف إلى أبيهم يلتمسون فيها إرسال يوسف معهم عند خروجهم إلى مراعيهم؛ ليفرح معهم ويلعب، مع تعهدهم بحفظه ورعايته، وبشأن حذف الجار في هذه الآية يقول الألوسي: "والأصل يرتع فيه ويلعب فيه، ثم حذف الجار واتسع فعدى الفعل للضمير فصار يرتعه ويلعبه، ثم بنى للمفعول فاستتر الضمير الذي كان منصوباً لكونه نائباً عن الفاعل"[59]

وفي الآية الكريمة ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[60].

تتحدَّث الآية الكريمة عن لحظة دخول يوسف السجن، والفتيان المصاحبان له، وهما فتيان عبدان للملك، هما: خبَّازه وصاحب طعامه، والآخر ساقيه وصاحب شرابه، وقد أمر الملك بسجنهما عندما رقي إليه أنَّهما يسُمَّانَه في أكله.

في الآية وقع حذف الجار والمجرور في جملة **(إِنِّي أَرَانِي)** وتقديره كما يراه الألوسي: "أي رأيتني في المنام، والتعبير بالمضارع لاستحضار الصور الماضية"[61]

د: حذف المضاف أو المضاف إليه: من الشواهد القرآنية الدالة على حذف المضاف ما ورد في الآية الكريمة ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾[62]، تتحدَّث الآية الكريمة عن وصية العزيز ملك مصر امرأته بأنْ تكرم مثوى يوسف، وتحسن إليه طول مقامه عندهم، وفي الآية جاء حذف المضاف في **(مِنْ مِصْرَ)** وتقديره (من أرض مصر)؛ لإفادة غرض تمكين يوسف في أرض مصر، بأنْ سخَّر الله إليه قلب الملك؛ حتى تمكَّن من الأمر والنهي في بلد الملك نفسه. وهو ما كان يتوقَّعه الملك ليوسف من مكانة عالية في بلاد مصر.

وكذلك الحذف في الآية الكريمة ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[63]، بحذف المضاف في جملة **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** "والمراد واسأل أهل القرية إلا أنَّه حذف المضاف للإيجاز والاختصار"[64].

وفى الآية الكريمة ﴿**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ**﴾[65]، تروي هذه الآية حكاية الغلام الذِي كان مع يوسف في السجن ثم نجا، وقد تذكَّر بعد مدة طويلة من الزمن يوسف وقدرته على تفسير الأحلام، كما تذكَّر ما أوصاه به يوسف من رفع أمره إلى الملك، فَنسي ذَلك ومكث يوسف في السجن عددًا من السنين، فَرجا الملك أَنْ يَسمحَ له بزِيارة يوسف في السجن؛ لِيسأَله عن تَفسيرِ حلْم الملك، وبشأن الحذف في هذه الآية يقول القرطبي: "والأُمّة لا تكون الحين إلا على حذف مضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، كأنَّه قال والله أعلم: و ادّكر بعد حين أمَّةٍ، أو بعد زمن أمّة"[66].

وفي الآية الكريمة﴿ **فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[67]، وهي تقص حوار **(روبيل)** كبير أخوة يوسف مخاطباً إياهم بأنَّ أبيكم قد أخذ عليكم موثقاً عندما طلبتم أنْ يرسل يوسف معكم، إلا أنَّكم فرطتم فيه، و ألقيتموه في غيابة الجب، وبعتموه بعد خروجه من **الجب**. وفي بيان الحذف الواقع في هذه الآية يقول أبو السعود على لسان كبير أخوة يوسف: "أي فلن أفارق أرضَ مصرَ جارياً على قضية الميثاق"[68] وذلك بحذف المضاف إليه بتقدير (لن أبرح أرض مصر).

هـ: حذف الشرط. قد يحذف الشرط في الخطاب القرآني، وهذا الحف يزيد الخطاب بلاغة تعبيرية، ومن أمثلة ذلك ما ورد في الآية الكريمة ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[69]. إذ يسرد الخطاب القرآني في هذه الآية تحاور أخوة يوسف، والسبل التي يقترحونها من أجل القضاء على يوسف، وإبعاده عن أبيه.

وبشأن إيجاز الحذف الوارد في الآية يقول ابن عاشور: "وجملة {إن كنتم فاعلين} شرط حذف جوابه لدلالة {وألقوه}، أي إنْ كنتم فاعلين إبعاده عن أبيه فألْقوه في غيابات الجبّ ولا تقتلوه"[70]

ومن أمثلة إيجاز الحذف كذلك ما ورد في الآية الكريمة﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[71]. تمثِّل هذه الآية اجتماع إيجاز القصر والحذف معًا، وهذا ما يمثِّل بلاغة القرآن الكريم، ويعطي أوضح الصور في بناء الخطاب القصصي، وقد سبق شرح وبيان بلاغة القصر في هذه الآية[72].

و: حذف التمييز. من أنواع إيجاز الحذف كذلك، حذف التمييز، ومن الشواهد القرآنية لذلك ما ورد في الآية الكريمة ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ**﴾[73]. وفي تقدير هذا النوع من الحذف يقول الألوسي: "التقدير سبع سنين شداد وحذف التمييز لدلالة ما قبله عليه"[74].

ثالثًا: حذف الجملة أو أكثر من جملة:

يرد حذف الجملة أو أكثر من الجملة في الخطاب القرآني في سورة يوسف كثيرًا، من تلك الجمل ما هي تفسيرية، أو الواقعة جواباً؛ كل ذلك لتأدية جملة من الأغراض البلاغية في الخطاب القصصي، ومن أمثلة حذف الجملة ما ورد في الآية الكريمة ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[75]، إذ تخبر هذه الآية بما عزم إخوة يوسف أنْ يفعلوه، بعد أنْ أقنعوا والدهم على إرسال يوسف معهم، وأجمعوا أمرهم على إلقائه في ظلمة بئر بالصحراء، وأنَّ "تفريع حكاية الذّهاب به والعزم على إلقائه في الجبّ على حكاية المحاورة بين يعقوب –عليه السّلام– وبنيه في محاولة الخروج بيوسف –عليه السّلام– إلى البادية يؤذن بجمل محذوفة فيها ذكر أنَّهم ألحَّوا على يعقوب –عليه السّلام– حتّى أقنعوه فأذن ليوسف بالخروج معهم، وهو إيجاز"[76].

وفي الآية الكريمة ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي**

خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(77). توضّح الآية الكريمة أنَّه بعد ظهور الأدلة والبراهين التي تؤكد براءة يوسف وتثبت عفته، رأي العزيز وأصحابه سجن يوسف ولو لفترة زمنية؛ منعًا للفضيحة. ودخل مع يوسف السجن فَتَيان للملك الأول صاحب طعامه يريد أنْ يَسُمَّه، والثاني صاحب شرابه مَالأَهُ على ذلك، وبشأن الحذف في هذا الخطاب القصصي يلحظ أنَّ بين جملة (ليسجننه) وجملة (دخل معه السجن) وجود جملة محذوفة، وهي (فسجنوه) ولم يرد ذكرها؛ لدلالة ما قبلها وما بعدها عليها.

وفي الآية الكريمة ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾(78).

تتحدَّث الآية عن الساقي حين عودته إلى الملك وإخباره بفتيا يوسف، التي استحسنها الملك، وقوله ائتوني به حتى أبصر هذا الرجل، فرجع الساقي إلى يوسف وقال له أجب الملك فأبى يوسف أنْ يخرج معه حتى تظهر براءته ممَّا أسند إليهم ظلمًا وبهتانًا أمام الملك، طالبًا من الرسول أنْ يسأل الملك ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، مع عدم التصريح بذكر امرأة العزيز أدباً واحترامًا لها.

وبتأمل هذا الحوار القصصي يلحظ حذف بعض الجمل، والتي عبَّر عنها أبو حيان قائلاً: "وإذا كان إيجاز الحذف يعتمد على حذف حرف أو جملة أو مجموعة جمل؛ خدمةً للسياق وانسجاماً معه، فهو يسعى إلى توسيع المعنى وتكثيفه وتضمينه بألفاظ قليلة؛ ليصبح الخطاب القصصي أكثر تأثيراً في المتلقّي، وذلك من خلال سرد مجموعة من الأحداث وعرض مشاهدها المتعدِّدة والمتنوِّعة بشكل يجعل المتلقّي يتخيل ما يقرأ.

الخاتمة:

توصَّلت دراسة الإيجاز البلاغي في الخطاب القصصي في قصة يوسف –عليه السلام– أنموذجًا إلى جملة من النتائج، أهمها:

1– تميُّز القصة القرآنية في القرآن الكريم عن القصة في الميدان الأدبي، وهي تمثِّل لونًا من ألوان القصة أو الحكاية أو الرواية.

2- اعتماد القصة القرآنية على رصد المشاهد والأحداث الحقيقية والواقعية بكل مصداقية، بعيداً عن الخيال.

3- يشكِّل الإيجاز سمة من سمات بلاغة الخطاب القصصي في القرآن الكريم، كما يعد سبيلًا للوصول إلى جوهر المعنى عبر القول الموجز والإشارة الدالة.

4- يمثِّل الإيجاز البلاغي في الخطاب القرآني جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وهو ما يعجز عن تحقيقه أي بشر مهما أوتي من فصاحة القول وبلاغة المعنى.

5- تتجلَّى ظاهرة الإيجاز في الخطاب القصصي في سورة يوسف في عنصرين أساسيين، هما: الإيجاز بالقصر، والإيجاز بالحذف.

6- حاجة القارئ إلى المزيد من الفهم والتأمل في كشف حقائق وجماليات الإيجاز بنوعيه في الخطاب القرآني، وأثر ذلك في بناء القصة القرآنية.

7- للإيجاز دور في صياغة قصة يوسف صياغة فنية بلاغية، تشدّ انتباه المتلقِّي، وتجعله متابعًا لأحداث القصة القرآنية ومشاهدها المتنوعة والمتعددة لحظة بلحظة.

هوامش البحث ومراجعه:

1- أمنة عشاب، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، الجزائر، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ص15.

2- سورة يوسف، الآية111.

3- سورة يوسف، من الآية 3.

4- ينظر الآيات:4، 7، 9، 11، 17، 29، 46، 58، 69،77، 80، 84، 85، 87، 90، 94، 99،

5- سورة يوسف، الآية: 4.

6- سورة يوسف، الآية:51.

7- سورة يوسف، الآية: 80.

8- ينظر: سورة الأنعام: الآية: 84، وسورة غافر: الآية: 34.

9- ينظر: كمال أحمد غنيم، بناء السرد القصصي في سورة يوسف، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلَّد 15، العدد الثاني، يناير 2011م، ص38.

10- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مادة (وجز).

11- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (وجز).

12- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، در الجيل، بيروت، لبنان، 1969م.ج1/ 90، 91.

13- المصدر نفسه، 90/1.

14- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 2002م، ص 463.

15- الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلَّام، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ص 76.

16- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص 173.

17- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

18- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982م، ص 207.

19- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدَّمه وعلَّق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي بطانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القسم الثاني، ص 216.

20- علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، 2002م. ص39

21- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1993م، ص 204.

22- ينظر: الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 76 (مصدر سابق).

23- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الثاني، ص219. (مصدر سابق)
24- المصدر نفسه، القسم الثاني، ص275.
25- الرُّماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 76. (مصدر سابق).
26- سورة يوسف، الآية 5.
27- سورة يوسف، الآية 8.
28- سورة يوسف، الآيتان11، 12.
29- سورة يوسف، الآية 17.
30- سورة يوسف، الآية 18.
31- سورة يوسف، الآية 19.
32- سورة يوسف، الآية 20.
33- سورة يوسف، الآية 32.
34- ينظر: سورة يوسف، الآيات 23ــ35.
35- سورة يوسف، الآيتان 54، 55.
36- سورة يوسف، الآية61.
37- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (آوى). (مصدر سابق).
38- ابن منظور: لسان العرب، ينظر: مادة (أوا). (مصدر سابق).
39- سورة يوسف، الآية 80.
40- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1992م، ص 205.
41- سورة يوسف، الآية 4.
42- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ج306/11.
43- سورة يوسف، الآية 101.

44- الخازن، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبط وتصحيح: عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004م، ج 2/ 558.

45- أبو السعود، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م، ج420/3.

46- سورة: يوسف، الآية: 5.

47- ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج212/11، 213. (مصدر سابق).

48- سورة يوسف، الآية: 85.

49- سورة يوسف، الآية: 28.

50- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ضبطه وصحَّحه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، ج12/ 41

51-سورة يوسف، من الآية41.

52- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، المجلَّد الخامس، ج9 /193.

53- سورة يوسف، الآية: 34.

54- سورة يوسف، من الآية 40.

55- القرطبي، في ظلال القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، ج9 /192.

56- سورة يوسف، الآية 18.

57- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، المجلَّد: السادس، ج11ـ393/12.

58- سورة يوسف، الآية 12.

59- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، المجلَّد السادس، ج11ـ 12/ 386.

60- سورة يوسف، الآية 36.

61- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، المجلَّد السادس، ج11ـ 429/12.

62- سورة يوسف، من الآية:21.

63- سورة يوسف، الآية: 82.

64- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للنشر والطباعة،ج18/ 194.

65- سورة يوسف، الآية: 45.

66- القرطبي، في ظلال القرآن، دار الشام للتراث، بيروت، لبنان، المجلد الخامس، ج201/9.

67- سورة يوسف، الآية 80.

68- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، ج422/3.

69- سورة يوسف، الآية 10.

70- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11/ 226.

71- سورة يوسف، الآية 5.

72- ينظر: الصفحة 9 من هذا البحث.

73- سورة يوسف، الآية 48.

74- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، المجلَّد السادس، ج:11ـــ 12/ 445.

75- سورة يوسف، الآية: 15

76- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11/ 233.

77- سورة يوسف، الآيتان: 35، 36.

78- سورة يوسف، الآية: 50.